المصلحة العامة . ولم يكن يعلم ـ حقيقة ـ ان هناك صراعا ما .

ولم يكن منحازا لفريق ضد فريق فهو انحاز لمصر ووقف الى جانب النظام ككل . ولا تربطه بأحد فى السلطة علاقة على أى نحو ! ولكن الذى شغله بالفعل ، هو كيف يصبح دخول تنظيم الحكومة عملا ضد الحكومة ؟ وكيف يتحول رجل النظام الى مناهض للنظام الذى هو جزء منه .

ان التهمة التى وجهها المحقق للحاج محمود هى محاولة قلب نظام الحكم . والحاج محمود كان يؤمن بأنه هو نفسه نظام الحكم . وظل هذا الايمان راسخا فى قلبه حتى بعد أن دخل الزنزانة وأغلقها عليه الحارس بالمفتاح . فقد ظن أن فى الامر خطأ ما ، وان احدهم سيفتح الزنزانة بعد قليل ليعتذر له . والذى غاظه اكثر ان كل الذين كانوا معه لا يزالون فى السلطة ، ولا أحد ضاع الا هو والأمين ، بل ان الامين الجديد الذى كان زميلا له فى التنظيم ، وربما كان اكثر منه حماسا للمظاهرة ، خطب فى الحى منددا بالخونة واعداء الوطن ، وكان يقصد الحاج محمود والآخرين .

كيف حدث هذا وما الذى جرى على وجه التحديد ؟ ولم يجد الحاج محمود أجوبة على الاسئلة التى ازدحم بها رأسه . فدفن همه فى العبادة وذكر الله . فلم يعد احد قادرا على تخليصه من ورطته الا سبحانه ! وانتهت المحاكمة ودخل الحاج السجن ، وبدأ يتأقلم مع حياته الجديدة ، ويرضى بها على انها قضاء الله وقدره . ومن يدرى ؟ عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . ولابد أن عينا شريرة حسودة اصابته فى الصميم .

وما دامت الصحة جيدة والدكان والعمارة فى أحسن حال ، فكل شىء على ما يرام ! وكان من عادة الحاج كلما استيقظ فى الصباح الباكر ، تشعلق على باب الزنزانة ثم أذن للصلاة ، ثم يردد كلمة يا رب أكثر من مرة ، ثم يطلق صيحة رهيبة بعبارة لايغيرها على الاطلاق « فرجه قريب »! .

وذات صباح ، والحاج فى نزهته المعتادة فى فناء السجن ، فوجىء بالمأمور يستدعيه الى مكتبه لأمر هام ، وعندما مثل الحاج بين يدى المأمور حدق المأمور فيه طويلا ، ثم سأله سؤالا جعل شعر الحاج محمود يشتعل شيبا ، ومفاصل عظامه تتفكك كأنما اصابها زلزال ، ولم يستطع الحاج محمود أن ينطق بالجواب ، هل ينفى ؟ هل يعترف ؟ هل يرفض الاجابة على السؤال ؟ .